فراشة من فولاذ

رتيبة الحفنى

فى معهد الموسيقى العربية بالإسعاف. كنا منبهرين بالسيدة العميدة تخرج من مكتبها لتمر على الفصول. فكأنها باليرينا تشع الحب والمرح والحزم والالتزام. تضحك إذا لزم الأمر. وتكشر عن أنيابها فى وقت اللزوم.

كنت من التلاميذ الأشقياء. كثيرًا كنت أشعر بعدم الاقتناع أن تكون عميدة معهدى: فراشة جميلة «بلونداية» رشيقة. شكلها أصغر منى فى السن. لكنها أيام ويعود لى عقلى: فراشة أى نعم. لكنها فراشة فولاذية.. إنها الجميلة التى يخشاها الوحش إذا لم يعرف قدراتها ويقرأ ما كتب على جبينها «ممنوع الاقتراب بِشَر.. وقد أعذر من أنذر».. إنها فراشة طروب. إذا دعا الداعى فهى المرأة الحديدية رتيبة الحفنى.

تم تعيينها مديرة لمعهد الموسيقى قسم البنات وكانت الدراسة فيه صباحا. بينما كان قسم الأولاد يدرس ليلا. ونجحت فى جمع الصباح على المساء. ليكبر المعهد عددا وقيمة ولأجلس مع زميلتى «ليلى نظمى» المطربة الشعبية فيما بعد. على بنش واحد.

كان معهد الموسيقى العربية، وأصله معهد الموسيقى الشرقية ناديا يلتقى فى حديقته أهل الصنعة، مطربون وملحنون ومؤلفون. وراقصات وعازفون. ولكل واحد مواله. هذا يسمع ذاك لحنا. وهذه تتعاقد على فرح بلدى.. وهكذا. أما الدور العلوى فهو مملكة تعليمية بقيادة الفراشة الحديدية الفولاذية.

نجحت الفراشة فى ضم معهد الموسيقى العربية إلى أكاديمية الفنون ليصبح المعهد العالى للموسيقى العربية. وهى العميدة ، ومن أعمالها

هيئة تدريس على المستوى الجامعى من أساتذة ومدرسين ومعيدين وأكثر من ذلك أن كونت فرقة لتقديم تراثنا الغنائى فى مجال الموشحات والأدوار والطقاطيق والمشاهد المسرحية الغنائية، وأطلقت عليها اسم «أم كلثوم» وعينت الموسيقار حسين جنيد (١٩١٢-١٩٩٠) قائدًا لها.

وقفت فرقة أم كلثوم ندا. ومنافسا لفرقة الموسيقى العربية بقيادة عبد الحليم نويرة (١٩١٦-١٩٨٥) وقدمت نجوما فى عالم الغناء منهم محمد الحلو وسوزان عطية ومنى عبد الغنى وهشام يحيى وتوفيق فريد وغيرهم. وقد تولى قيادة الفرقة بعد رحيل جنيد عدد من كبار القادة فى مصر على رأسهم المايسترو سامى نصير.

وأنشأت السيدة العميدة فرقة أخرى لإحياء لون من التراث المصرى هو الابتهالات والإنشاد الدينى، وأطلقت عليها «فرقة الإنشاد الدينى» وأشرف عليها وقام بتحفيظ التراث لأعضائها المبتهل الشيخ نصر الدين طوبار.

وطلبت دولة الكويت من السيدة العميدة أن تزرع فى أراضيها معهدا للموسيقى العربية على نمط معهدها القاهرى. ونجحت فى بناء المعهد مع مواصلة ما بدأته فى معهد أكاديمية الفنون، فرسمت لمعهد الكويت الخطة وحددت المناهج وانتدبت هيئة التدريس من القاهرة، وألفت كتابا لتعليم مادة الصولفيج بعنوان «دراسة الصولفيج».

ويعتبر كل المتصلين بالمعهد العالى للموسيقى العربية، أن رتيبة الحفنى هى أم المعهد، يحبها كل من فيه من أساتذة، ومدرسين وطلبة، والسعاة لا يتورعون لأخذها بالحضن عند رؤيتها حتى ولو كانت فى جلسة أكاديمية وقورة، وتسمع منها دائما: «كلهم أبنائى»، وأحدث خريج إذا التقته فى الحياة الفنية، فهو على لسانها «الأستاذ». وكل أبناء المعهد «أساتذة» من أول دفعة تخرجت تحت عمادتها إلى أحدث دفعة تخرجت مستشارة وعضو مجلس إدارة، وعضو مجلس قسم الغناء فيه.

□□□

نشأت رتيبة الحفنى فى أسرة موسيقية. الوالد هو الدكتور محمود أحمد الحفنى أول من حصل على درجة الدكتوراة فى تاريخ الموسيقى والفلسفة من جامعة «هومبولد» ببرلين، وأول من طالب بدخول الموسيقى ضمن مناهج التعليم المصرى. وأول سكرتير عام لمؤتمر الموسيقى العربية الذى بدأ فى مصر عام ١٩٣٢. ورئيس تحرير أول مجلة موسيقية مصرية

ظهـر أول عدد منها فى ١٩ مايو ١٩٣٥ . وتوقفت بسبب الحـرب العالمية الثانية فأصدر مجلة موسيقية أخرى فى عام ١٩٤٧ باسم «الموسيقى والمسرح» وذلك خلال عمادته للمعهد العالى للموسيقى المسرحية التى تخرج فيه كثير من نجوم الموسيقى والغناء فى مصر. ومنهم عبد الحليم حافظ وكمال الطويل وعلى إسماعيل وعبد العظيم محمد وغيرهم.

وللدكتـور الحفنى أبحـاث كثيرة عن الموسـيقى العالميـة وروادها والموسـيقى العربية وأعلامها.. وقضايا موسـيقية مهمة كثيرة وله خمسـون كتابا فيها. وهم من آلات «فلوت الحفنـى» و «صفارة الحفنـى» و «ترومبا الحفنى» - إضافة إلى إنتاجـه الفنى من التأليف والتلحين مثل أوبريت «صح النوم» وأوبريت «لسه» والنشيد القومى الشهير « يا عم حمزة.. احنا التلامذة».

سافر محمود الحفنى إلى برلين فى صيف عام ١٩٢٠ ، ليلتحق بكلية الطب إرضاء لرغبة والده. واتجه فى ذات الوقت إلى بريل أسـتاذ آلة الفلوت بالمعهد العالى للموسيقى.. جمع بين الدراستين لمدة عامين ونصف ثم ترك دراسة الطب وسلم نفسه إلى الموسيقى مما أغضب والده فقطع عنه مرتبه الشهرى.

تعرف الحفنى إلى أسـرة فى برلين: الأب مستشار فى القانون. والأم مغنية معروفة فى الأوبـرا.. صادق ابنها الأكبر ذا الثقافات الموسـيقية مع الابـن الأصغر. أما الابنة وكانت تهوى العزف على البيانو. وكثيرا ما كانت تصاحب الحفنى على آلة الفلوت بالبيانو. إنها «جرترود برنر» وقد تزوجها الحفنى. وبعد أن حصل على درجة الدكتوراة ١٩٣٠ وعادا إلى القاهرة.. وأنجبا «أمينة. أنيسة. رتيبة الحفنى».

حرصت «جرترود» على تلقين رتيبة دروسـا فى العزف على البيانو. وهى فى الخامسة من عمرها. وطلبت من الدكتور «هانز هيكمان» أن يكمل برنامج العزف.

كانت الطفلة «رتيبة» قد وصلت لمسـتوى رفيع فى هذا المجال. وشـاركت فى حفلات خاصة كثيرة. وأشـاد بعزفها المتخصصون والمتذوقون فتم إلحاقها بالقسـم الثانوى الملحق بالمعهد العالى لمعلمات الموسـيقى. وتخصصت فى دراسـة البيانـو كآلة غربية. وألة العود كآلة شرقية.

أشـاد أسـاتذتها بتفوقها وكانت تعزف أعمالا عالمية أصعب من أن يسـتوعبها سنها. عزفت مع أسـتاذتها النمساوية أكثر من كونشـرتو للبيانو لبيتهوفن. وعزفت فى حفلات

المعهد مؤلفات موتسارت وشوبرت وشومان وبيتهوفن وباخ وغيرهم. وارتبط اسمها بالعزف المبهر على آلة البيانو.

نجحت الطالبة رتيبة فى دبلوم المعهد بتفوق. فتم تعيينها معيدة بالمعهد. وحصلت على منحة لدراسة البيانو فى ميونيخ بألمانيا. فالتحقت بالمعهد العالى للموسيقى هناك قسم البيانو. وحسب منهج المعهد كان عليها أن تختار مادة موسيقية إضافية لدراستها. إضافة إلى مادة البيانو فاختارت «الغناء الأوبرالى». فلما استمع أساتذة المعهد إلى صوتها. رأوا أن يكون «الغناء الأوبرالى» مادتها الأساسية مثل مادة البيانو. واستمر تفوقها فى المادتين وحصلت على أعلى مستوى فى الغناء. وعلى امتياز فى العزف. وأصبحت مغنية أوبرا تقف على أكبر مسارح العالم.

ينتمى صوت المغنية رتيبة الحفنى إلى طبقة «سوبرانو» وقد صفق لها العالم فى أوبريت فيردى «ريجوليتو» و «ترافياتا» و «عايدة». وقد شاركت فى عرضها فى دول أوربية كثيرة منها ألمانيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا وهولندا وتركيا وإيطاليا وروسيا والنرويج. بالإضافة إلى عدة عروض فى الولايات المتحدة الأمريكية. وعرضت عليها أوبرا برلين، وأوبرا جراتس بالنمسا الارتباط بعقد للغناء لمدة ٤ سنوات فى كل منهما ورفضت حتى لا تبعد عن بلدها مددا طويلة.

قامت المغنية رتيبة الحفنى ببطولة أوبريت «الأرملة الطروب» تلحين فرانز ليهار عام ١٩٦١ وكانت أول تجربة مصرية فى مجال تعريب الأوبريتات العالمية.

□□□

فى مصيف «بلطيم» بمحافظة كفر الشيخ التقت الطفلة رتيبة وعمرها ٩ سنوات برجل خطف اهتمامها. وحرك شغاف قلبها – إنه مصطفى ناجى طبيب العيون الشهير فيما بعد – كتمت ما جرى واحتفظت بسرها. فلما آن الأوان وكبرت الطفلة. وتخرجت فى المعهد. أصبح طبيب العيون حبيب القلب. هو القسمة والنصيب والعش الهادىء الجميل الذى تحاجى عليه الزوجة. وأمر يا أعظم سيى سيد فى الدنيا. وأثمر الزواج ابنتهما «ماجدة». حبيبة أمها. وفيما بعد أم لأعز الولد.. ولد الولد.

لم يقنع طبيب العيون وحبيب القلب بأن يشاركه فى زوجته اهتمامات أخرى. فالشهرة والموسيقى والنجومية تلاحق زوجته أينما تكون. والفن والمناصب الإدارية أكبر

منافس له فى حبها. وكما دخلنا بالمعروف والحب والتقدير والاحترام. نخرج. وتم أبغض الحلال إلى الله. لكن المعروف والحب والتقدير والاحترام لم ينل منها الانفصال فقد بقوا فى عرض مستمر وعاشت عضوا منتسبا فى أسرته الجديدة.

سافر الدكتور ناجى إلى لندن ليكمل دراسة الطب، فاقترب من فن الموسيقى وأحبه وهو الذى خسر سعادته غيرة منه على زوجته. اقتنع بموقفها وقرر أن يعيد الحياة إلى مجاريها ومواصلة الحب اللى كان. فأرسل إليها رسولا يحمل تهنئته بعيد زواجهما يوم ٥ يولية. لكن الرسول نام وذهب إلى المرسل إليه بعد يوم. يعنى يوم ٦ يولية فشاهد مأذونا يخرج من بيت المرسل إليه. وعلم أنه عقد قران المرسل إليه على الموسيقار والمايسترو «أحمد عبيد» فى مشهد سينمائى عندما حكته بطلته لمخرج الروائع حسن الإمام. قال: لولا أن أخشى أن يتهمنى الجمهور بالمبالغة لأخرجته فى فيلم عليه القيمة!!

عاد أحمد عبيد من فرنسا بعد أن درس العزف على آلة الكمان وكان قد بدأ ذلك فى مصر. ودرس هناك أيضا علم قيادة الأوركسترا وعاد لمصر ليقود أوركسترا الإذاعة السيمفونى، ويكتب بعض المؤلفات الموسيقية ويعمل أستاذا بالمعهد العالى لمعلمات الموسيقى.

فى المعهد لعب كيوبيد لعبته الشهيرة بين قلبى الأستاذ عبيد والمعيدة رتيبة الحفنى. وعلى رغم فارق السن بينهما وكان يزيد على ١٦ سنة، كتبوا الكتاب.. وعلوا الجواب.. وبالرفاء والبنين. قد أراد القدر أن يقتصر البنون على ابنتهما «عُلا». فقد توفى المايسترو والموسيقار والأستاذ أحمد عبيد فى ٢٥ أغسطس ١٩٨٠ فأصبحت «عُلا» هى كل الحب وأصبحت الأم هى الأب أيضا.

□□□

فى أحد العروض الفنية كان يجلس فى الصف وراء الأستاذة رتيبة صحفى يعرفها وتعرفه. اقترب من أذنها وسأل: تحبى تمثلى فى السينما؟ نظرت إليه.. وردت: «بتقول إيه»؟. قال لها: «يا داخل بين البصلة وقشرتها.. كملى انتى بقى».. فنظرت مرة ثانية لتعرف أنه يقصد أن يكون الكلام بينها وبين الرجل الذى كان يجلس بجواره. وطلب وساطته للتكلم معها. إنه المخرج المنتج الكبير رمسيس نجيب.

قال لها رمسيس: نحن نعد لفيلم بعنوان «وادى الذكريات» يخرجه هنرى بركات. عن قصة لميشيل صبايا. إعداد سينمائى وحوار يوسف السباعى. سيناريو د. رفيق الصبان، ويسعدنا أن تشاركينا بالتمثيل فيه مع شادية.

رفضت الأستاذة العرض السخى من المنتج الكبير. والعمل مع أسماء لامعة فى السينما فى قدر شادية ويوسف السباعى وبركات. وتكرر من يوسف السباعى وتكرر الرفض. عرض آخر لفيلم آخر. وتكرر الرفض. كانت الأستاذة هدفا من أهل السينما لجمالها ورشاقتها وجاذبيتها وقوة شخصيتها. ورفضت لشهرتها التى جنتها فى مصر بعد بطولتها لأوبريت «الأرملة الطروب».

كانت الأستاذة رتيبة الحفنى زميلة لفاتن حمامة فى المدرسة. وكانت فاتن ترى أن زميلتها يمكن أن تكون نجمة سينمائية ذات قيمة. أما الإعلامية الدكتور درية شرف الدين فكان لها رأى آخر.. نصحتها بعدم الإقبال على هذه المغامرة لأنها إذا صادفها الفشل فإن ذلك كفيل بالنيل من كل ما حققته من نجاحات فى المجالات المختلفة.

تطابق رأى الدكتورة درية مع رؤية الأستاذة وإن اختلفت الأسباب.. فقد تعودت أن تكون رقم واحد فى أى مجال تعمل فيه. ولا ترضى أن تشكل رقما آخرا. ولكى تكون رقم واحد فى السينما. كان عليها أن تبدأ من الصفر كما فعلت صديقتها فاتن حمامة وأخريات. فإذا ما وصلت لسن الشباب تكون قد أصبحت رقم واحد فتمثل دور البطلة وليست صديقتها.

يذكر أن رمسيس نجيب وهنرى بركات ويوسف السباعى قد أسندوا الدور الذى رشحوا الأستاذة لتلعبه فى فيلم «وادى الذكريات» للفنانة ليلى فوزى.

ألمس مدى الحب والعشق والانبهار الذى تبديه الدكتورة رتيبة الحفنى لكل معارفها بأحفادها أبناء وبنات. بنتيها ماجدة. وعُلا. وتحافظ على وضع صورهم فوق مكتبها. وعلى صفحة الترحيب بالمحمول الخاص بها. وتقطع كل يوم مشوارا صعبا فى زحام القاهرة يبدأ من بيتها فى شارع عبد العزيز آل سعود بالروضة أو من مكتبها فى دار الأوبرا إلى مصر الجديدة. حيث يعيش أصغر أحفادها. تلاغيه ويلاغيها وتستمد شحنة الحنان والأمومة قبل أن تعود لبيتها.

وحب الأطفال صفة تأصلت فى الدكتورة منذ شبابها الأول. ففى عام ١٩٦١ أنشأت أول

فرقــة لكورال الأطفال فى مصــر، من خلال محافظة القاهرة وكان من بينها أطفال أصبحوا نجوما وأطربوا العالم مثل هانى شاكر ورياض الهمشرى.

تتمتع الدكتورة رتيبة الحفنى بخيال خصب وأسلوب سهل ممتنع، وهى صفات الأدباء. ولحبها للأطفال كتبت بعض القصص اســتوحتها من سلوك بعض الأطفال فى فريق كورال محافظة القاهرة ومنهم هانى شاكر ورياض الهمشرى.

وكتبت أكثر من قصة لتعريفهم بالآلات الموسيقية فى أسلوب خيالى جذاب ومادة علمية. وأثرت مكتبة الطفل بموســوعة عظيمة للموســيقى الميســرة فى ٥٠ كتابا، أســلوبها بسيط وخطها جميل، وصفحاتها مزينة وجذابة.

أما موضوعات الموسوعة الموسيقية الميسرة فهى:

١ - نشأة الموسيقى.

٢، ٣ - الموسيقى عند الفراعنة.

٤ - الموسيقى فى الممالك القديمة.

٥ - الموسيقى فى عصر الباروك.

٦ - الملك الموسيقى فريدريك هاندل.

٧، ٨ - جورج فريدريك هاندل جـ١، جـ٢.

٩، ١٠ - يوهان سباستيان باخ جـ١، جـ٢.

١١ - المايسترو الصغير.

١٢، ١٣، ١٤ - الأوركســترا الســيمفونى (الآلات الوتريــة، آلات النفــخ، الآلات الإيقاعية).

١٥ - سر المايسترو.

١٦ - التخت الشرقى.

١٧ - مع الموسيقى العربية.

١٨ - لويس أرسترونج ملك الجاز.

١٩ - موسيقى الجاز.

٢٠ - الموسيقى العسكرية.

٢١ - العصر الكلاسيكى.

٢٢، ٢٣ – جوزيف هايدن جـ ١، جـ ٢.

٢٤، ٢٥، ٢٦ – فولفجانج أماديوس موتسارت جـ ١، جـ ٢، جـ ٣.

٢٧، ٢٨ – بيتهوفن الموسيقى الأصم.

٢٩ – فرانس شورت.

٣٠ – جاكو مايربير.

٣١ – العصر الرومانتيكى.

٣٢ – روبرت شوجان.

٣٣ – جوهانس برامز.

٣٤ – باجانينى (شيطان الكمان).

٣٥ – فرانز ليست.

٣٦ – فريدريك شوبان.

٣٧ – جياكومو بوتشينى.

٣٨، ٣٩ – جوزينى فردى جـ ١، جـ ٢.

٤٠ – بيترالينسن تشيكوفسكى.

٤١، ٤٢، ٤٣ – يوهان شتراوس جـ ١، جـ ٢، جـ ٣.

٤٤ – باورفسكى الموسيقار السياسى.

٤٥ – كلود ديبوسى.

٤٦ – كاميل سان سانس.

٤٧، ٤٨ – رمسكى كورساكوف جـ ١، جـ ٢.

٤٩ – إيمانويل دى فالا.

٥٠ – رتشارد فاجنر.

ويظهر النشاط الأدبى للدكتورة رتيبة الحفنى فى كتاباتها الدرامية عن رواد الغناء العربى والتابلوهات التى تعرضها افتتاحيات مهرجان الموسيقى العربية كل عام، مما يؤكد أنها من الذين أدركتهم مهنة الأدب، وكانت قد ظهرت موهبتها فى الكتابة الصحفية والأدبية فى إعداد المجلة الموسيقية، والتى كان يرأس تحريرها الدكتور محمود أحمد الحفنى، وأعادت طبعها مع الإضافات من ١٩٧٣ وحتى عام ١٩٨٢.

كانت الدكتورة رتيبة الحفنى أول من تولى منصب رئاسة البيت الفنى للأوبرا والموسيقى والذى أنشىء فى عهد الوزير منصور حسن. وكان وزيرا للثقافة والإعلام. وأجرت خلال هذه الفترة أول مسابقة للموسيقى والغناء بين فرق الموسيقى التابعة للثقافة الجماهيرية بكل محافظات مصر.

تولت الدكتورة رتيبة رئاسة الأوبرا المصرية من ١٩٨٥ إلى ١٩٩٠. فأنشأت الفرقة القومية العربية للموسيقى. وفرقة كورال الأطفال. وفرقة كورال محبى الغناء الأوبرالى.

وأعلنت عن إقامة مهرجان القاهرة للموسيقى العربية. وظلت منذ ميلاده الدينامو المحرك له. وهى المقرر والأمين العام له ورئيسة اللجنة التحضيرية لفعالياته.

انتخبت الدكتورة ٤ مرات كرئيسة للمجمع العربى للموسيقى التابع لجامعة الدول العربية ومقره المملكة الأردنية الهاشمية بصفة مؤقتة. ويأتى نشاطها فى مهرجان القاهرة للموسيقى العربية. والمجمع العربى للموسيقى ليؤكد صحة المثل القائل «ابن الوز عوام». فقد كان والدها سكرتيرا عاما لدول مؤتمر الموسيقى العربية. وقد عُقد فى القاهرة عام ١٩٣٢ ومثّل مصر وجامعة الدول العربية فى غالبية المؤتمرات الموسيقية والمهرجانات التى عُقدت فى أوروبا والبلاد العربية. وهو أيضا منشىء المجمع العربى للموسيقى ١٩٧١ ومقره العراق قبل أن ينقل بصفة مؤقتة إلى الأردن.

كان الوالد قدوة لابنته فى حبه للموسيقى. وسعيه لخدمتها. وكان قدوة أيضا فى الفكر الموسيقى وإنجاز الكتب المتخصصة والتى تلقى الضوء على رواد هذا الفن.

أهدى الدكتور الحفنى كتابه «الموسيقى النظرية» الذى تم طبعه عام ١٩٥٤ إلى ابنته رتيبة، مما لفت انتباهها إلى أهمية الكتابة والكتاب فى سن مبكرة. وتأثرت بتحية والدها لها. وردت عليه بأحسن منها. وهذا هو الإهداء والإهداء المضاد له فى الاتجاه.

□□□

إهـــداء

أبى..

عندما أهديتنى كتابك «الموسـيقى النظرية» عام ١٩٥٤ كنت حينذاك أستكمل دراساتى بمعهـد ألمانيا. وكان لهذا الإهداء أثر كبير فى نفســى. دفعنــى للعمل والتفانى فى خدمة الموسيقى. حتى أكون كما تتمنى لى.

أبى..

لقد حملتنى رسالة كبيرة وشاقة

أوصيتنى برفع شــعلة الفن واستكمال مشوارك الفنى الذى وهبته حياتك كلها فأصبح لى أن أضــع بين يدى القارئ هذا الإهداء الذى أشــعر كلما طالعته بنبضات قلب كبير، قلب أب وأستاذ يحتضن ابنته وتلميذته وغده.

لقد أعطيتنى فى حياتك كل شــىء: الحب والرعاية والثقة.. ولم تنقطع صلتى الروحية بك بعد رحيلك.

فتقبل يا أبى بعض عطاياك..

رتيبة الحفنى

إهـــداء

منشور فى كتاب «الموسيقى النظرية» (الطبعة السادسة)

إلى ابنتى المحبوبة رتيبة الحفنى..

هــذا كتاب ســجلت فيه أصول الموســيقى، ونظرياتهــا. ولما لم أجد فيــه ولا فى بقية مصنفاتى الموسيقية ما يملأ فراغ نفسى، ويشيع نجمى فى خدمة هذا الفن.

أردت لك وأنت فى مشــرق الحياة أن تكونى مصنفا حيا أهديه إلى الموســيقى نصيرا فى أســرتها، وعضوا فى جماعتها، فما أشــبهك بهذا الكتاب، وما أشبهه بحياتك، فكلاكما يؤدى رسالة واحدة، ويهدف إلى تحقيق غاية فنية، نبيلة.

وقد حققت فى تربيتى إياك ما توسمته فيك، فنلت من الموسيقى مكانة مرموقة أرجو لك فيها التوفيق، وأرجو لها منك النمو والمزيد. وها آنذا أدخرك يا بنيتى للموســيقى لتحملى عنى رسالتها وترفعى شعلتها.

لهذا رأيتك أولى من أهديه هذا الســفر، وأختاره له، فتقبليه رمز محبة وتقدير. وعيشا معا للموسيقى، وليكن هو كتابها الصامت، ولتكونى أنت كتابها الناطق.

والــــدك

قدمت الكاتبة الدكتورة رتيبة الحفنى، كتابها عن رياض السنابطى لشركة «الشروق» لطبعه. وبعد أيام توفى الموسيقار محمد عبد الوهاب، فطلبت الشركة تأجيل كتاب السنباطى وتكليفها بكتاب عن محمد عبد الوهاب، تم طبعه ونشره عام ١٩٩١ بعنوان «محمد عبد الوهاب.. حياته وفنه»، وتبعته المؤلفة بكتاب «أم كلثوم معجزة الغناء العربى» عام ١٩٩٤، ثم بكتاب «السلطانة منيرة المهدية والغناء فى مصر قبلها وفى زمانها» ٢٠٠١، ثم كتاب «محمد القصبجى الموسيقى العاشق» ٢٠٠٦، وانتهت من كتاب عن «فريد الأطرش وأسمهان».

أسند التليفزيون المصرى للمذيعة الدكتورة رتيبة الحفنى فى السبعينيات تقديم برنامجى «الموسيقى العالمية» و «عالم الموسيقى» وكانا يعتمدان على مواد موسيقية عالمية من أفلام محدودة من أرشيف التليفزيون، مما أصاب المذيعة بالملل بعد تكرر عرض نفس المواد الموسيقية. طلبت من تماضر توفيق رئيسة التليفزيون أن تعفيها من تقديمه. فطلبتها رئيسة التليفزيون للتحاور فى الموضوع. فى الجلسة اقترحت المذيعة أن يصور التليفزيون عروض فرقة «أم كلثوم» التابعة للمعهد العالى للموسيقى العربية ويعرضها كأغنيات بين فقراته اليومية. وافقت رئيسة التليفزيون ورأت تطويرها بأن يعرض التلفزيون ما تقدمه الفرقة فى برنامج مستقل متخصص فى الموسيقى العربية، على أن تقدمه د. رتيبة الحفنى كبديل لبرنامج الموسيقى العالمية واختارت لإخراجه مساعدة المخرج التى كانت تعمل معه. واختارت رئيسة التليفزيون موعدا متميزا لعرضه مساء كل خميس ولاقى نجاحا كبيرا لمادته، ولطلة مقدمته على الشاشة. واستمر النجاح أكثر من ربع قرن. حتى أصبح من علامات الشاشة الصغيرة، ومواده من المواد المحببة لرجل الشارع العادى فى مصر.

وخرجت المخرجة إلى المعاش. وتولت مساعدتها إخراجه فلم يعرض منه إلا ثلاث حلقات، ورفع بعدها من خريطة التليفزيون. فلما سألت المذيعة عن السبب. قالوا: اطلعى للوزير يعيده للخريطة.. فقالت لا من طبعى ولا من أخلاقى أن أبحث عن واسطة لتقديم خدمة لى. ومات البرنامج وظل المشاهدون يسألون عنه طويلا. وعن الظروف الغامضة التى اختفى فيها.

صنع برنامج «الموسيقى العربية» جماهيرية كبيرة للدكتورة الحفنى وأكمل دائرة الشعبية والشهرة والنجاح. فبعد أن كانت تغنى فى الأوبرا لطبقة محدودة وتعمل فى مجالات

تخص فئة المثقفين. جاء هذا البرنامج ليضعها عند رجل الشارع فى مصاف نجوم السينما والتليفزيون.

وقد ظهرت آثار النجومية الشعبية للدكتورة رتيبة الحفنى عندما أصيبت بمرض ونقلت إلى المستشفى فتحول مبناها إلى كعبة جماهيرية من كل الطبقات والفئات والمستويات الثقافية. يدعون لها بالشفاء والعافية. وخرجت المريضة التى هبط وزنها إلى ٣٥ كيلوجرام. وكان ٥١ كيلوجرام. وضربت بأوامر الأطباء عرض الحائط وسافرت لأداء فريضة الحج فى رحلة روحانية بدأت صعبة. لكنها تدرجت فى السهولة وعادت لتفاجىء الأطباء. ورأت بأن الراحة عندها هى الشحن الروحانى بالإيمان العظيم.

فى فندق على نيل مدينة المنيا، عدنا لنلتقى بالأستاذة والتلميذة. بعد غياب دام ما يقرب من ٣٠ سنة. تظل الأستاذة أستاذة. تمر الأيام وربما تنال من الشكل الظاهرى. أما العقل ففى عز اللياقة. والذاكرة ميه ميه.. كلامها مفيد. والروح شابة.

وشرفتنى بعضوية اللجنة التحضيرية لمهرجان القاهرة للموسيقى العربية لأسعد بلقائها أسبوعيًا وأزداد تعليما مع زمرة من كبار موسيقينا. من أساتذتى. الفراشة الرشيقة الجميلة. الوردة عندما يعلو صوت الحب. وإذا وضعت الحرب أوزارها فهى المرأة الفولاذية الدكتورة رتيبة الحفنى.

□□□